بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة في المسجد النبوي بالمدينة النبوية

لفضيلة الشيخ : علي بن عبد الرحمن الحذيفي

بتاريخ : ١٢- ١-١٤٢٢هـ

والتي تحدث فيها فضيلته عن : دروس وعبر من هجرة المصطفى ﷺ

الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار يقلب الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، أحمد ربي وأشكره على فضله المدرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نصر عباده الأبرار وخذل أعداءه الفجار، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله المصطفى المختار، اللهم صلِّ وسلم وبارك علىعبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه الأطهار. أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون حق التقوى، فتقوى الله فوز لكم في الحياة الدنيا وفي الحياة الأخرى، عباد اللّه إن عظم الواجب وكبر المسؤلية وضخامة الغاية والهدف كل ذلك يستدعي بذل الجهد والطاقة والوقت والمال، وقد تلقى النفس الموت في سبيل الواجب العظيم والغاية الكبرى، مع ما يضاف إلى ذلك من فقدان الأصدقاء وكثرة الأعداء والتعرض للسخرية والاستهزاء ومكر الماكرين وخصومات الألداء وقلة المستجيبين والأنصار والأولياء. وهذا الحال هو بعينه حال سيد البشر ﷺ في أول أمره، وهذه الحقيقة هي مهمة رسول الله ﷺ ،وهذا الوضع هو رسالة رسول الله ﷺ التي بعثه الله لتحقيقها. لقد أرسل الله خير خلقه إلى البشرية أحوج ما تكون إلى رسالته وأشد ما تكون ضرورة إلى دينه بعد أن غيّر أهل الكتاب وبدلوا وصار العالم في ظلمات الشرك والجهل، فأرسل الله عبده محمد ﷺ إلى الناس جميعا، قال الله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾.

فوجدهم يعبدون آلهة شتى، منهم من يعبد الأشجار، ومنهم من يعبد الأحجار والشمس والقمر والملائكة والجن وعيسى بن مريم عليه السلام والقبور والأولياء، فيدعونهم من دون الله ويستغيثون بهم ويلجأون إليهم في كشف الشدائد والكربات، ويرغبون إليهم في جلب النفع و الخيرات، ويذبحون لهم وينذرون لهم، ويجعلونهم وسائط يقربونهم إلى الله يرفعوا دعاءهم إلى الرب جل وعلا. وجد الرسول ﷺ الناس يتحاكمون إلى الكهان والسحرة والعرافين، ويغشون الفواحش والمحرمات ويسيئون الجوار ويقطعون الأرحام ويكسبون الأموال لا يبالون بالحلال أوالحرام، الربا والبيع عندهم سواء، والغصب والميراث قرناء، وتأسس على هذا الدين الجاهلي مصالح ومنافع واعتبارات مادية ومعنوية، وتراكمت عليه عادات

وأعراف يشق على النفوس الفطام عنها والتخلي عن عوائدها. فجاء رسول الله ﷺ بدعوة الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله بكل ما تضمنته هذه الشهادة من معنى، بإفراد الله وحده بالدعاء والذبح والنذر والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة وطلب النفع ودفع الضر والطواف والسجود ونحو ذلك من أنواع العبادة التي هي حق الله وحده، قال الله تعالى:﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا﴾ وقال تعالى:﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا ﴾. فإفراد الرسول ﷺ بالاتباع، قال تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾

جاء نبي الرحمة ﷺ يدعو الناس إلى العفاف والطهر والخلق الكريم والاستقامة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكفّ عن المظالم والمحارم، ويدعوهم إلى التحاكم إلى الكتاب العزيز، لا إلى الكهان وأمر الجاهلية، وكسب المال من وجوهٍ حلال، وإنفاقه بالطرق المشروعة والمباحة، وجعل الناس كلهم أمام شريعة الله سواءً يتفاضلون بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون﴾، وقال تعالى:﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾.

وروي عن ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:(لما مرض أبو طالب دخل عليه مشيخة من قريش فيهم أبو جهل فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فأنصفنا من ابن أخيك فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه، فقال أبو طالب: يا ابن أخي ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم، قال ياعم: أريد أن يقولوا كلمة تدين لهم بها العرب، وتؤدي لهم بها العجم الجزية، فقال أبو جهل: نقولها وعشرًا، فقال عليه الصلاة والسلام: قولوا لا إله إلا الله، ففزعوا وولوا مدبرين وهم ينفضون ثيابهم ويقولون: أجعل الآلهة إله واحدًا إن هذا لشيء عجاب).

فقد عرفوا مدلول هذه الكلمة، وأنها تصوغ الإنسان صياغة جديدة على مقتضى الإسلام في عبادته ومعاملاته وسلوكه وحياته كلها، كما يدل على ذلك قوله تعالى :﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ فهذا معنى لا إله إلا الله الذي نفر منه المشركون.

دعا رسول الله ﷺ الناس كلهم إلى هذا المعنى العظيم، وقام بهذا هذا الواجب الكبير الذي هو أكبر واجبٍ في تاريخ البشرية كلها، دعا إلى دين قويم يرقى به الإنسان إلى أعلى المنازل، ويسعد به في الآخرة سعادةً أبدية في النعيم المقيم، فاستجاب له القلة المؤمنة المستضعفة في مكة، فأذاقهم المشركون أنواع العذاب كالحرق بالنار وتقليب العريان في شدة الرمضاء.

ووقف في وجه دعوة رسول الله ﷺ ثلاثة أنواع من الناس:

المستكبرون الجاحدون العالمون بالحق، والحاسدون المحترقون، والجهال الضالون. وكوّن هذا الثالوث جبهة عنيدةً وحربًا وحزبًا شيطانيًا لا يترك من سبيل ولا وسيلة إلا سلكها للصد عن سبيل الله ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾.

واشتد الكرب بمكة وضُيِّقَ الخناق على الدين الإسلامي، وائتمر المشركون بمكة أن يقتلوا رسول الله ﷺ . فقال جبريل عليه السلام:(إن الله أذن لك يا محمد بالهجرة إلى المدينة فلا تبت هذه الليلة في فراشك). ورصده المشركون عند بابه ليضربوه ضربة رجل واحد، فخرج عليه الصلاة والسلام عليهم وهو يتلو صدر سورة يس وذر على رؤوسهم التراب، وأخذ الله بأبصارهم عنه فلم يروه، وأخذهم النعاس، واختبأ هو وصاحبه أبو بكر الصديق في غار ثور ثلاثة أيام حتى هدأ الطلب وقد فتشت قريش في كل وجه، وتتبعوا الأثر حتى وقفوا على الغار، فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا، فقال:" يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما". ولقيا الدليل بعد ثلاث براحلتيهما، ويمما المدينة، فكانت هجرة المصطفى ﷺ نصرًا للإسلام والمسلمين حيث أبطل الله مكر المشركين وكيدهم في تفكيرهم القضاء على الإسلام بمكة، وظنهم القدرة على قتل رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى:﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾.

وقد تعرض رسول الله ﷺ للقتل غير مرة قبل الهجرة وبعدها. ذكر المؤرخون أن أبا جهل قال: واللات والعزى لئن رأيت محمدًا يسجد عند الكعبة لآخذن حجرًا ثم لأثلغن به رأسه فأدعه خبزًا فأسلموا لي أو امنعوني، قالوا: والله لا نسلمك يا أبا الحكم، فجاء رسول الله ﷺ من الغد يصلي عند الكعبة فأخذ حجرًا عظيمًا ثم تقدم وقريش في أنديتها ثم نتق القهقرة منتقع اللون يرجف، فقيل له: مالك، قال:حال بيني وبينه فحلٌ من الإبل، والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قطرته أراد أن يأكلني. فقال النبي ﷺ :" ذاك جبريل والذي نفسي بيده لو تقدم لأخذته الملائكة عضوًا عضوًا والناس ينظرون".

وتعرض للقتل من المنافقين في غزوة تبوك، ومن عامر بن الطفيل، ومن فضالة في الطواف، وتحت شجرة في بعض غزواته بالمشرف، وفي مسجده من رسول صفوان بن صفوان بن أمية، ووُضع له السم في الذراع فأخبره وفي كل ذلك نجاه الله تعالى لكمال توحيده وتوكله على الله عز وجل، قال الله تعالى:﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾، وفي طريق هجرته ﷺ إلى المدينة هبّت رياح النصر إلى خارج جزيرة العرب، فقد لحق سراقة بن مالك برسول الله ﷺ يريد الفتك به لينال جُعْلَ قريش ــ مئة ناقة ــ فساخت قوائم فرسه في الأرض، فالتفت إليه رسول الله ﷺ وقال: كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى، وأسلم وردّ الطلب عن الرسول الله ﷺ، وألبسه عمر سواري كسرى بعد فتح داره، تحقيقًا لقول النبوة صلى الله وسلم على صاحبها. ونزل رسول الله ﷺ هو وصاحبه أبوبكر ﷺ المدينة مكرمًا معززًا مؤيدًا منصورًا مباركًا ميمونًا كلٌ يود أن ينزل بيته، فبركت ناقته في مسجده هذا؛ لأنها مأمورة من الله تعالى لاختيار المنزل، فاشتراه وبناه مسجدًا يشع منه النور إلى الدنيا كلها إلى يوم القيامة، وبنى حُجَرَ نسائه، وابتدأ عهد جديد ميمونٌ مبارك حافل بكل نصر وتأييد للإسلام والمسلمين، وبكل عملٍ رشيد، وصارت الهجرة واجبة من مكة إلى المدينة في عهد رسول الله ﷺ ومن كل مكان لا يقدر المسلم فيه أن يقيم شعائر دينه، وكانت الهجرة عملاً صالحًا يتفاضل الناس بها، قال ﷺ " الإسلام يهدم ما قبله

والهجرة تهدم ما قبلها "، وبعد فتح مكة نسخت الهجرة منها، ولكن بقي على المسلم وجوب الهجرة من البلد الذي لا يقدر أن يقيم فيه شعائر دينه إلى البلد الذي يقدر أن يعبد الله فيه بحرية، وفي الحديث:" لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ".

وأَمْرُ الهجرة إلى المدينة في عهد النبوة من المعجزات فقد كانت المدينة قليلة الموارد الزراعية قليلة الأمطار، قليلة التجارة عديمة الصنائع ضيقة بأهلها، ففي تقديرات البشر أن الهجرة إليها تسبب مشاكل اقتصادية واجتماعية، ولكن بالهجرة إلى المدينة تحقق كل خير للإسلام والمسلمين وبطل كل مكر وكيد للإسلام والمسلمين، وشاهد الكبير والصغير والذكر والأنثى سيد الخلق ﷺ، وتعلموا منه دينهم واقتدوا به وتخلّقوا بأخلاقه وحضروا مجالسه وحفظوا حديثه ووعوا سنته ونقلوا حركاته وسكناته في أدق تفاصيلها وصحبوه في غزواته واطّلعوا على حياته داخل بيته في عبادته وفي معاملاته لأهله، يدفعهم لكل ذلك كمال محبتهم للنبي ﷺ، فما أعظم أثر الهجرة النبوية على الإسلام والمسلمين، وكم لله فيها من نعم على عباده المؤمنين. حقًا لقد كانت الشدائد مستحكمة في أول الهجرة وكان الناس في عسرٍ وضيق من الحال، كما قال أبو هريرة ﷺ :(إني لأخر مابين منبر رسول الله ﷺ وبيت عائشة، فيأتي الأعرابي ويضع رجله على عنقي، يظن أني مجنون وما بي إلا الجوع).

وروى البخاري عنه قال: أُهدي لرسول الله ﷺ قدح لبن فرأى الجوع في وجهي، فقال: ادع لي أهل الصفة، وكنت أود أن أشربه مع رسول الله ﷺ لما بي من الجوع، فدعوتهم ثم سقيتهم واحدًا واحدًا حتى رووا ولم يبق إلا أنا ورسول الله ﷺ ، ثم قال: اشرب يا أبا هريرة فشربت حتى رويت ثم قال: اشرب، فشربت ثم قال: اشرب، فقلت: والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكا، ثم شرب عليه الصلاة والسلام الفضلة. وكان يربط النبي عليه الصلاة والسلام الحجر على بطنه من الجوع. ولكن هذه الشدة تجاوزوها بصبرهم وإيمانهم في أول الهجرة، وكان رسول الله ﷺ يحنو عليهم ويشملهم بعطفه ورحمته أكثر من الأب الرحيم والأم الرؤوم، ففتح الله البلدان، وساق إلى المدينة النبوية الخيرات من كل مكان، ولكن الرسول ﷺ يقول لأصحابه:" أنتم اليوم خير من يوم يُغدى على أحدكم بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويغدو في حُلْة ويروح في حُلْة، لأن الفتنة في السراء أعظم من الفتنة في الضراء" .

أيها المسلم: لإن فاتك ثواب الهجرة إلى الله ورسوله في زمن النبوة، فقد شرع الله لك هجرة من نوع آخر، فيها الثواب العظيم، فاهجر المعصية إلى الطاعة، واهجر التفريط وهاجر إلى الاستقامة، واهجر التمرد والآثام إلى الانقياد والاستسلام، واهجر الكسل والأمل الباطل إلى الجد والاجتهاد فيما يرضي مولاك، وهاجر بقلبك من الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها إلى الدار الآخرة والرغبة فيها قال ﷺ :" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ماحرم الله " .وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال:" عبادة في الهرج كهجرة إليّ " يعني وقت الفتن .

قال الله تعالى:﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ بارك الله لي ولكم في القران العظيم،ننن ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا

بهدي سيد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العليم القدير اللطيف الخبير، أحمده سبحانه على فضله الكبير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي الكبير، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله السراج المنير، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ذوي الفضل... أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، عباد الله يقول الله تعالى:﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكّر أو أراد شكورا ﴾ فتعاقب الليل والنهار آية عظيمة، فمن فاته عمل صالح بالليل استدركه بالنهار، ومن فاته عمل صالح بالنهار استدركه بالليل، وإن حادث هجرة المصطفى ﷺ تمد المسلمين بالعبر والعظات والدروس والتوجيهات، وقد شاء اللّه تعالى أن تكون بأسباب مألوفة للبشر يتزود فيها للسفر ويركب الناقة ويستأجر الدليل، ولو شاء اللّه لحمله على البراق، ولكن لتقتدي به أمته، فينصر المسلم دينه بما يسّره اللّه من الأسباب. وأعظم واجب عليك أيها المسلم أن تنصر دين الله في نفسك بأن تستقيم على طاعة الله وأن تنصره في بيتك بالعمل به والدعوة إليه في مجتمعك والصبر عليه.

وإنَّ حال المسلمين في العالم يوجب الاستفادة من معاني الهجرة النبوية، فلن يصلح حال المسلمين في هذا العصر إلا بالأمور التي صلح بها السلف الصالح من الإيمان الحق والتوحيد الخالص والخلق الكريم والصدق مع الله والتوكل عليه والصبرعلى المكاره وإحسان العبادة على وصف ما جاء به النبي ﷺ في السنة المطهرة، قال ﷺ : "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن".

عباد الله، ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾، وقد قال ﷺ :"من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله بها عليه عشرًا ". فصلوا وسلموا على سيد الأولين والآخرين وإمام المرسلين، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلم تسليم كثيرا. اللهم وارض عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن سائر أصحاب نبيك أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم وارض عنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين اللهم أعز الإسلام والمسلمين اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين يا رب العالمين، اللهم اجعل هذه البلاد آمنة مطمئنة رخاءً سخاءً وسائر بلاد المسلمين يا رب العالمين. اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح اللهم ولاة أمورنا ووفقهم لما تحب وترضى، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم نوّر على أهل القبور من المسلمين قبورهم، اللهم واغفر للأحياء ويسر لهم أمورهم. اللهم تب على التائبين واقض الدين عن المدنين واشف مرضانا ومرضى المسلمين إنك أنت الرحمن الرحيم يا رب العالمين، اللهم يسر أمر كل مؤمن ومؤمنة وأمر كل مسلم ومسلمة وتول أمر كل مؤمن ومؤمنة يا رب العالمين، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين،اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي

الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم أعذنا من إبليس وذريته، اللهم أعذ المسلمين من إبليس وذريته، اللهم أعذ ذرياتنا من إبليس وذريته إنك أنت السميع العليم يا رب العالمين، اللهم احفظ ووفق إمامنا وولي أمرنا لما تحب وترضى وخذ بناصيته للبر والتقوى، اللهم اجعله من الهداة المهتدين اللهم انصر به دينك يا رب العالمين، وأعل به كلمتك، اللهم أعنه على أمور الدنيا والدين ووفق بطانته لما تحب وترضى، اللهم اجعل ولاة أمور المسلمين عملهم خيرا لشعوبهم وأوطانهم إنك على كل شي قدير، اللهم احفظ الإسلام وأهله في كل مكان، اللهم احفظ الإسلام وأهله في كل مكان، اللهم أعز الإسلام وأهله في كل مكان، اللهم أعز الإسلام وأهله في كل مكان يارب العالمين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اللهم أغثنا يا رب العالمين اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا، اللهم إنّا خلق من خلقك لاغني لنا عن رحمتك ياأرحم الراحمين. عباد الله ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ۞ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولاتنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ماتفعلون ﴾ واذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ماتصنعون.